[328] فأراد كذب العير امله، لان العير لا يجوز أن ينسب إليه الكذب الحقيقي الذي هو ضد الصدق، المعنى أنه آمل أن ينجو من اقتناصي، فكذبه امله، لانه ظن انه إذا مر بارحا [1] - وهو ان يأخذ من جهة الشمال إلى جهة اليمين - لم يتمكن الفارس من طعنه، فلما قلب الرمح فطعنه جاز ان يقول: كذبه أمله فيما ظنه من النجاة. قال صاحب هذا القول: (فان قيل كيف اكذبهم [2] ا في قولهم: (وا ربنا ما كنا مشركين)، وقد حلفوا على حق عندهم !. قيل له: ليس قوله تعالى: (كذبوا) ههنا من الكذب الذي هو ضد الصدق، وانما هو من الايجاب والالزام، فكأن معناه: انظر كيف ألزموا أنفسهم الكفر وأوجبوا عليها الشرك. وعلى هذا قول بعض العرب: (كذب عليك الحج) [3] يريد إلزم الحج. وكما شكى رجل إلى بعض الصحابة ألم رجله [4] فقال: (كذب عليك العسل)

---

(1) الظاهر بقرينة التفسير الذي ذكره المؤلف ان البارح مأخوذ من البروح ومنه قولهم: برح الظبي. والبارح عند العرب: ما مر من اليمين إلى اليسار، ويقابله السانح وهو ما مر من اليسار إلى اليمين. والعرب تتطير بالمبارح وتتيمن بالسانح وهذا يخالف ما ذكره المؤلف، لكن ابن رشيق حكى في العمدة عن بعضهم: ان السانح عند اهل الحجاز ما اتى عن اليمين إلى اليسار والبارح عكسه. وهم يتيمنون بالبارح ويتشأمون بالسانح. واهل نجد بالضد من ذلك. (2) وفي (خ): كذبهم. (3) نسب في القاموس وشرحه هذه الكلمة إلى عمر وقال في الشرح: قيل: معناها وجب عليك. (4) قال في اللسان: عمرو بن معدي كرب اشتكى إلى عمر المعص فقال: كذب عليك العسل. يريد العسلان وهو مشي الذئب، اي عليك بسرعة المشي. والمعص بالعين المهملة: التواء في عصب الرجل.